بسم الله الرحمن الرحيم

عبادَ الله إِنَّ الْأَطْفَالَ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ، وَزِينَةٌ فِي الدُّنْيَا ظَاهِرَةٌ، غَيْرَ أَنَّ هَذِهِ النِّعْمَةَ كَدَّرَتْهَا عِنْدَ الأَبَوَيْنِ شَكَاسَةُ الْأَطْفَالِ، وَسُوءُ سُلُوكِهِمْ فِي الْأَفْعَالِ أوَ الْأَقْوَالِ، وَعِصْيَانُهُمْ وَتَمَرُّدُهُمْ عَنِ الطَّاعَةِ؛ مِمَّا قَدْ يُؤَجِّجُ ذَلِكَ نَارَ الْغَضَبِ فِي نُفُوسِ الآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ؛ فيقررون الْعِقَابِ لِأُولَئِكَ الْأَوْلَادِ الْمُخَالِفِينَ لأمر الِانْقِيَادِ تأديبا لهم!

غَيْرَ أَنَّ ذَلِكَ التَّأْدِيبَ قَدْ يَتَجَاوَزُ حَدَّ التَّأْدِيبِ إِلَى الْإِيذَاءِ وَالتَّعْذِيبِ، وَبِذَلِكَ يَحْدُثُ انْحِرَافٌ كَبِيرٌ فِي مُعَاقَبَةِ الْأَطْفَالِ؛ حَيْثُ يَصِيرُ ذَلِكَ الْعِقَابُ الْخَاطِئُ انْتِصَارًا لِلنَّفْسِ، بَدَلَ تَرْبِيَةِ الطِّفْلِ وَإِعَانَتِهِ عَلَى اعْتِدَالِ سُلُوكِهِ وَفِعْلِهِ؛ فَحَتَّى لَا يَقَعَ الْخَلَلُ فِي التَّرْبِيَةِ كَانَ لِزَامًا تَحَسُّسُ الْأَخْطَاءِ الَّتِي رُبَّمَا يَقَعُ فِيهَا الْمُرَبُّونَ وَالآبَاءُ.

مِنَ الْوَسَائِلِ الْخَاطِئَةِ فِي مُعَاقَبَةِ الْأَطْفَالِ: الدُّعَاءُ عَلَيْهِمْ بِمَا يَضُرُّهُمْ وَيُصِيبُهُمْ فِي عَاجِلِ أَمْرِهِمْ أَوْ آجِلِهِ؛ وَدَعْوَةُ الْوَالِدَيْنِ لِأَوْلَادِهِمَا مِنَ الدَّعَوَاتِ الَّتِي أَخْبَرَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّهَا مَظِنَّةُ الْإِجَابَةِ؛ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ يُسْتَجَابُ لَهُنَّ، لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ)).

وَبَعْض الآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ مَنْ يَرْفَعُ أَكُفَّ الدُّعَاءِ فِي سَاعَةِ غَضَبٍ بِالدَّعَوَاتِ عَلَى أَفْلَاذِ الْأَكْبَادِ، وَلَا يُفَكِّرُ الْوَالِدُ الدَّاعِي فِي عَاقِبَةِ دُعَائِهِ لَوِ اسْتُجِيبَ لَهُ، وَلِذَلِكَ حَذَّرَنَا رَسُولُنَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ هَذَا؛ فعن جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ؛ لَا تُوَافِقُوا مِنَ الله سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءً فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ)).

وَتِلْكَ الدَّعَوَاتُ الَّتِي رَفَعَهَا الْوَالِدُ أَوِ الْوَالِدَةُ إِلَى السَّمَاءِ عَلَى أَحَدِ الْأَوْلَادِ قَدْ تُسْتَجَابُ أَحْيَانًا؛ كَمَا حَصَلَ فِي الْقِصَّةِ الَّتِي رواها أَبو هُرَيْرَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ: عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ، وَكَانَ جُرَيْجٌ رَجُلًا عَابِدًا، فَاتَّخَذَ صَوْمَعَةً، فَكَانَ فِيهَا، فَأَتَتْهُ أُمُّهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، فَقَالَ: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، فَانْصَرَفَتْ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، فَقَالَ: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، فَانْصَرَفَتْ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لَا تُمِتْهُ

حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى وُجُوهِ الْمُومِسَاتِ، فَتَذَاكَرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ جُرَيْجًا وَعِبَادَتَهُ، وَكَانَتِ امْرَأَةٌ بَغِيٌّ يُتَمَثَّلُ بِحُسْنِهَا، فَقَالَتْ: إِنْ شِئْتُمْ لَأَفْتِنَنَّهُ لَكُمْ، قَالَ: فَتَعَرَّضَتْ لَهُ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا، فَأَتَتْ رَاعِيًا كَانَ يَأْوِي إِلَى صَوْمَعَتِهِ، فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا، فَوَقَعَ عَلَيْهَا فَحَمَلَتْ، فَلَمَّا وَلَدَتْ قَالَتْ: هُوَ مِنْ جُرَيْجٍ، فَأَتَوْهُ فَاسْتَنْزَلُوهُ وَهَدَمُوا صَوْمَعَتَهُ وَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟ قَالُوا: زَنَيْتَ بِهَذِهِ الْبَغِيِّ، فَوَلَدَتْ مِنْكَ، فَقَالَ: أَيْنَ الصَّبِيُّ؟ فَجَاءُوا بِهِ، فَقَالَ: دَعُونِي حَتَّى أُصَلِّيَ، فَصَلَّى، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَتَى الصَّبِيَّ فَطَعَنَ فِي بَطْنِهِ، وَقَالَ: يَا غُلَامُ مَنْ أَبُوكَ؟ قَالَ: فُلَانٌ الرَّاعِي، قَالَ: فَأَقْبَلُوا عَلَى جُرَيْجٍ يُقَبِّلُونَهُ وَيَتَمَسَّحُونَ بِهِ، وَقَالُوا: نَبْنِي لَكَ صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: لَا، أَعِيدُوهَا مِنْ طِينٍ كَمَا كَانَتْ، فَفَعَلُوا)).

وَمِنَ الْأَخْطَاءِ: الْحِرْمَانُ الدَّائِمُ؛ ظَنًّا أَنَّ هَذَا أُسْلُوبٌ فِي تَجْفِيفِ مَنَابِعِ التَّدْلِيلِ الْمُفْسِدِ، وَهَذَا خَلَلٌ فِي التَّرْبِيَةِ رُبَّمَا أَدَّى نَتَائِجَ عَكْسِيَّةً فِي نَفْسِ الطِّفْلِ وَفِي انْكِسَارِ شَخْصِيَّتِهِ؛ فَالْأَطْفَالُ لَدَيْهِمْ نَوَازِعُ وَرَغَبَاتٌ، فَهُمْ يُحِبُّونَ اللَّعِبَ وَالْمَرَحَ، وَاللِّقَاءَ بِالْأَصْدِقَاءِ مِنَ الْجِيرَانِ وَالْأَقَارِبِ وَالزُّمَلَاءِ، كَمَا يُحِبُّونَ النُّقُودَ، وَقَدْ يُفَضِّلُونَ أَكَلَاتٍ مُعَيَّنَةً أَوْ حَلْوَى مُحَدَّدَةً لَدَيْهِمْ؛ فَبَعْضُ الْآبَاءِ أَوِ الْأُمَّهَاتِ حِينَمَا يَحْدُثُ مِنْ أَطْفَالِهِمْ أَخْطَاءٌ فَإِنَّهُمْ يُسَارِعُونَ إِلَى عُقُوبَتِهِمْ بِالْحِرْمَانِ الدَّائِمِ مِنْ تِلْكَ الْمَحْبُوبَاتِ! وَهَذَا الْعِقَابُ بِهَذَا الِامْتِدَادِ غَيْرُ صَحِيحٍ؛ إِذْ إِنَّهُ قَدْ يَعْكِسُ النَّتَائِجَ عَلَيْهِمْ.

نَعَمْ لِلْحِرْمَانِ، وَنَعَمْ لِقَوْلِ: لَا، وَلَكِنْ لِيَكُنْ ذَلِكَ بِقَدْرِ الذَّنْبِ؛ فَلْيَكُنْ مُدَّةً مُعَيَّنَةً حَتَّى يَعْرِفَ الطِّفْلُ خَطَأَهُ وَلَا يُكَرِّرُهُ مَرَّةً أُخْرَى فَيُحْرَمُ ذَلِكَ الْمَحْبُوبَ.

وَمِنَ الْأَخْطَاءِ: الشِّدَّةُ وَالْغِلْظَةُ فِي التَّأْدِيبِ، وَاسْتِعْمَالُ الْأَلْفَاظِ الْقَاسِيَةِ، وَهَذَا يُورِثُ الْأَطْفَالَ النُّفُورَ عَنِ الْآبَاءِ وَجَفَائِهِمْ وَتَمَرُّدِهِمْ.

هَذَا السُّلُوكُ الْأَبَوِيُّ فِي الْعِقَابِ سُلُوكٌ خَاطِئٌ؛ لِأَنَّهُ يُخَالِفُ تَعَالِيمَ الْإِسْلَامِ الدَّاعِيَةِ إِلَى الرِّفْقِ وَاللِّينِ! كَمَا أَنَّ فِي ذَلِكَ السُّلُوكِ مُبَايَنَةً لِأَسَالِيبِ التَّرْبِيَةِ النَّاجِحَةِ الَّتِي يُرْجَى مِنْ خِلَالِهَا نُبُوغُ الْأَطْفَالِ وَاسْتِقَامَتِهِمْ، يَقُولُ تَعَالَى:{وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ}[فصلت:34]، وَلَيْسَتِ الشِّدَّةُ وَالْغِلْظَةُ مِنَ الدَّفْعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ.

وَمِنَ الْأَخْطَاءِ: التَّشْهِيرُ بِخَطَأِ الطِّفْلِ أَمَامَ الْآخَرِينَ؛ فَالْوَالِدُ أَوِ الْوَالِدَةُ بِمَثَابَةِ الطَّبِيبِ الَّذِي يَصِفُ الدَّوَاءَ عَلَى قَدْرِ الدَّاءِ، وَكَالْجَرَّاحِ الَّذِي يَضَعُ الضِّمَادَ الْمُنَاسِبَ عَلَى الْجُرْحِ. وَتَعْنِيفُ الْوَلَدِ الْمُخْطِئِ أَمَامَ غَيْرِهِ إِعَانَةٌ لَهُ عَلَى اسْتِمْرَارِ الدَّاءِ، وَعِلَاجٌ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْإِعْلَانَ بِالتَّعْنِيفِ خَاصَّةً أَمَامَ زُمَلَائِهِ وَمَعَارِفِهِ يَضُرُّ

شَخْصِيَّةَ الطِّفْلِ، وَيُشَجِّعُهُ عَلَى الْإِصْرَارِ عَلَى ذَلِكَ الْخَطَأِ، وَيَنْقُصُ مِنْ حُبِّ وَالِدَيْهِ فِي نَفْسِهِ، وَيُرَبِّي فِيهَا انْتِهَازَ فُرْصَةٍ لِلانْتِقَامِ بِسَبَبِ ذَلِكَ الْجَهْرِ بِالتَّعْنِيفِ.

وَقَدْ عَلَّمَنَا الْإِسْلَامُ الْأُسْلُوبَ النَّاجِحَ فِي الْعِتَابِ، وَهُوَ اسْتِعْمَالُ التَّلْوِيحِ بَدَلَ التَّصْرِيحِ إِنْ كَانَ ذَلِكَ فِي الْمَلَأِ؛ فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: ((لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبَّابًا وَلَا فَحَّاشًا وَلَا لَعَّانًا، وَكَانَ يَقُولُ لِأَحَدِنَا عِنْدَ الْمَعْتَبَةِ : مَا لَهُ تَرِبَ جَبِينُهُ!)).

وَمِنَ الْأَخْطَاءِ: الضَّرْبُ وَالْعِقَابُ الْبَدَنِيُّ الْمُبَرِّحُ، فهو سبب رئيسي في النُّفُورِ، وَكَسْرِ النَّفْسِ، وَيسبب جُرْحًا يَصْعُبُ الْتِئَامُهُ؛ فجَسَدُ الْأَطْفَالِ لَا يَحْتَمِلُ السَّوْطَ وَلَا شِدَّةَ الضَّرْبِ، قَسْوَةٌ وَأَيُّ قَسْوَةٍ أَنْ تُطْفَى جَمْرَةُ غَضَبِ الْوَالِدِ عَلَى هَذِهِ الْأَجْسَادِ الضَّعِيفَةِ، ثُمَّ يَظُنُّ جَهْلًا أَنَّهُ يُحْسِنُ صُنْعًا؟ وَكَمْ مِنَ الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ مَنْ تَجَرَّعَ حَسَرَاتِ الْأَسَى وَالنَّدَمِ بَعْدَ أَنْ رَأَى عَوَاقِبَ فِعْلِهِ الطَّائِشِ الْمُعْوَجِّ؛ مِنْ كَسْرِ عُضْوٍ مِنَ الْأَعْضَاءِ، أَوْ جُرْحٍ مِنَ الْجُرُوحِ، أَوْ أَوْصَلَ إِلَى إِعَاقَةٍ!

الضَّرْبُ وَسِيلَةً مِنَ الْوَسَائِلِ لِلتَّقْوِيمِ وَالتَّأْدِيبِ لِلْمُخْطِئِينَ؛ غَيْرَ أَنَّ هَذِهِ الْوَسِيلَةَ لَا بُدَّ مِن ضبطها كتَجَنُّبِ الضَّرْبِ الشَّدِيدِ وَصَفْعِ الْوَجْهِ، أَوَ الْعَصَا وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَمِنَ الْأَخْطَاءِ: تَحْقِيرُهُمْ أَمَامَ الْآخَرِينَ، وَهَذَا الْعِقَابُ لَهُ أَثَرٌ نَفْسِيٌّ سَيِّئٌ عَلَى الْأَطْفَالِ، وَهُوَ عِلَاجٌ يَزِيدُ الْمَرَضَ عِلَّةً، وَالْخَطَأَ اتِّسَاعًا.

وَمِنَ الْأَخْطَاءِ: عَدَمُ قَبُولِ اعْتِذَارِهِمْ عَلَى أَخْطَائِهِمْ، وَمَا أَسْوَأَ هَذَا الْعِقَابَ! حَيْثُ إِنَّهُ يُشَجِّعُهُمْ عَلَى طُولِ صُحْبَةِ تِلْكَ الْأَخْطَاءِ، وَعَدَمِ مُعَاتَبَةِ أَنْفُسِهِمْ عَلَى ارْتِكَابِهَا، وَمَا أَقْبَحَ أَنْ يَكُونَ الْوَالِدَانِ أَوْ أَحَدُهُمَا مُعِينًا لِأَوْلَادِهِ عَلَى الِاعْوِجَاجِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَشْعُرَ بِذَلِكَ!

عِبَادَ اللهِ: عَلَى الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ أَنْ يرَاجِعوا أَنْفُسَهم وطرقهم في تربية الأبناء؛ فَلْنَكُنْ حَازِمِينَ وَلَكِنْ بِرَحْمَةٍ وَعَطْفٍ، وَحِكْمَةٍ وَرِفْقٍ، فَنَضَعُ الْعِقَابَ كَالدَّوَاءِ الَّذِي يُشْفَى بِهِ الدَّاءُ؛ فَإِنْ كَانَ دَوَاؤُنَا سَيَزِيدُ السُّقْمَ وَالْأَلَمَ فَلْنَتَجَنَّبْ ذَلِكَ.

والحمد لله رب العالمين